في تحليل شامل لأوضاع حركة التحرّر الوطني العربيّة

الحزب الشيوعي السوداني يقول:

حرب تشرين كانت انقلاباً من حكام مصر وسوريا على استراتيجية النضال الوطني التقدمي

بعد حرب تشرين مباشرة درست اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوداني ((آفاق الوضع العربي)) ونشرت تحليلا مطولا حول تلك الآفاق ومهمات الحركة الثورية العربية . وفيما يلي تقدم ((الهدف)) عرضا لابرز الموضوعات الواردة في التحليل المذكور :

● يبدأ التحليل بمقدمة تقول « الشعوب العربية تسير نحو اوضاع سياسية جديدة ، بدت ارهاصاتها منذ حين ، ويجري الان وضع اللمسات الاخيرة على ملامحها وقسماتها الخاصة. والقوى الثورية العربية مواجهة بان تدرس وتستبين هذه الاوضاع ، وبان تتخذ العدة لما ستطرحه من مهام وواجبات .

« وسط ضجة اعلامية هائلة ومنسقة ، هدفها اعداد الشعب لقبول الفترة القادمة ، يتاهب كل اليمين العربي لابعاد القوى الثورية وحصرها في موقف المتفرج : اما ان تتبع ، او نعيش صقيع العزلة ... اما ان تبارك ، او تتهم بالخيانة.كل سمات الموقف الانقلابي .. وهذا طبيعي ، لان حرب اكتوبر وما بعدها كانت انقلابا حقيقيا من الدوائر الحاكمة في مصر وسوريا على استراتيجية النضال الوطني والتقدمي ، من اجل استعادة الارض المحتلة والسليمة ، ومواصلة الثورة الاجتماعية » .

وبعد ذلك تنتقل المقدمة الى القول « لكن مواقف الثوريين العرب تمليها عليهم دوائر اليمين، بل تحددها منطلقاتهم الاساسية الثابتة من جوهر الصراع في الشرق الاوسط . فهم لا يقترنون من قضية الاحتلال الاسرائيلي للارض العربية كقضية قائمة بذاتها ، معزولة عن غايات حركة التحرر العربية ، وعن دوافع عدوان يونيو ١٩٦٧ ، واهداف القوى التي حركته ، وعن اسلحة الغزو وما اعقبها من تطورات ، بما فيها بقاء الاحتلال حتى الان .. ذلك ان اقترانا كهذا يحمل في جوهه مدد بدائيه ، التراجع والاستسلام على طول الجبهه امام العدوان والمعتدين ، مهما عللا الخضوع والصلح » .

مواقف الحزب الشيوعي السوداني

● ثم يستعرض التحليل مواقف الحزب خلال السنوات الست الماضية مقول « وكمحصلة نورية عربة حدد الحزب الشيوعي السوداني مواقفه حلة واضحة عبر السنوات الست الماضية :

في التقرير السياسي الذي اجازه مؤتمره الرابع (٢١ اكتوبر ١٩٦٧) والمنشور بعنوان « الماركسة وقضايا الثورة السودانية » ، وفي قرارات ذلك المؤتمر وبيانه الختامي ، وفي بيان المكتب السياسي الصادر يوم اوغسطس ١٩٧٠ بعد « مبادرة » روجرز ، وفي بيان اللجنة المركزية الصادر يوم ١٣ نوفمبر ١٩٧٠ عن الاتحاد الثلاثي، وفي الورقة التي قدمها الشهيد عبد الخالق محجوب حول الوحدة الثلاثية ، وفي بيان اللجنة المركزية عام ١٩٧٢ عن الوضع العربي ، وفي اعمال دورة اللجنة المركزية في مايو ١٩٧٣ .. عالج حزبنا القضايا المحيطة بحركة التحرر الوطني العربية ، مترشدا بنظرته الطبقية ومتجنبا طرح مجرد تحليلات عابرة للاحداث . واهتداء بالماركسية ـ اللينينية توصل للتالي :

اولا : ان حركة التحرر العربية ولجت مستويات متقدمة في تطورها ، وانتقلت من حيزها الوطني الى التصدي لمهامها الاجتماعية ، الى الثورة الديمقراطية . وان هذه الحركة تناضل في جبهات مختلفة : فاقسام منها تصارع نظما رجعية متواطئة مع الاستعمار ، واقسام اخرى تناضل لحسم الثورة الديمقراطية بنجاح . وفي صراعها هذا ، اصبحت حركة التحرر العربية تواجه الاستعمار الحديث والقوى المرتبطة به بالتحالف والعمالة والممثلة في الصهيونية والرجعية الاقطاعية والبرجوازية الجانحة الى مواقع الارتباط بالاستعمار.

« ان حركة التحرر الوطني العربية جزء من حركة التحرر الوطني العالمية . وبهذا فان الحليف الثابت والمخلص لتلك الحركة هو المعسكر الاشتراكي وحركة الطبقة العاملة العالمية . وبغير التحالف الوثيق معهما ، فان من المستحيل عليها ان تحل قضاياها المتعددة والمتنوعة لصالح الشعوب العربية »

« ولقد افرزت حركة التحرر العربية ، خلال نضالها الممتد ، ادوات نضالية تعتمد على وجودها وفعاليتها مستقبل تلك الحركة . فهناك الانظمة الوطنية المعادية للاستعمار الحديث ، وهناك الطبقة العاملة وتنظيماتها الشيوعية ، وهناك التنظيمات الديمقراطية الثورية ، وهناك القوات الثورية المسلحة الفلسطينية »

ثانيا : ان الاستعمار ـ بمستعمريه سادوات سياسيه وعسكرية تتمثل في القوى الرجعية العربية واسرائيل ـ ظل يسعى لاعادة نفوذه ولسير الثورة الديمقراطية ، ولحصر الشعوب العربية في الطريق الراسمالي . وفي اطار هجومه الذي تميز بالشراسة على سائر منطقة التحرر الوطني مستهدفا تغيير توازن القوى العالمي لصالحه ، خطط الاستعمار الردة في المنطقة العربية بأساليب مختلفة ، كان ابرزها الحلف الاسلامي .

« وفي اطار هذا المخطط دبر الاستعمار عدوان يونيو ٦٧ . لكن العدوان ، رغم انتصاره العسكري لم يحقق كل اهدافه . ومن ثم واصل الاستعمار سعيه الحثيث لاحداث ردة شاملة في البلدان العربية وقلب انظمة الحكم الوطنية والتقدمية وسحق التنظيمات الثورية وتصفية النضال التحرري العربي » .

ثالثا : ان الاسباب الاساسية للهزيمة كانت تكمن في عدم وصول التحولات الاجتماعية الى مستوى تصفية العناصر المعادية للثورة في النظم الوطنية ، بل واحتلال هذه العناصر لاخطر المواقع في المنظمات الجماهيرية وجهاز الدولة والقوات المسلحة ، كما كانت هذه الاسباب تكمن في عدم اكتمال وحدة القوى الثورية على النطاق العربي . »

موقف مبدئي من القضية الفلسطينية

« في اطار هذه الاستنتاجات الاساسية منح الحزب الشيوعي السوداني اهتماما كبيرا للثورة الفلسطينية منطلقا من حقيقة ان القهر والظلم اللذين عان منهما شعب فلسطين ، واقامة الكيان الاسرائيلي على ارضه ، مخطط استعماري موجه ضد كل الشعوب العربية ، وان الثورة الفلسطينية بالتالي مرتبطه ارتباطا عضويا وثيقا بالثورة العربية في مجموعها وبالنضال التحرري في كل بلد عربي » .

« ولقد تصدى حزبنا للنظريات الرائجة حول القومية اليهودية وحول الحق القومي للهود في فلسطين فاثبت زيفها ، واعلن خطا قرار التقسيم باعتباره اعتداء فظا على حق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره ، وطالب الاحزاب الشيوعية والتقدمية العالمية باعادة النظر في موقفها منه ، واعتبر الوجود الاسرائيلي تجسيدا للتحالف الامبريالي الصهيوني في المنطقة وخطرا حقيقيا على مسار الثورة العربية ومنطلقا للاستعمار الحديث نحو القارة الافريقية ، واداة في يد الصهيونية والاستعمار الجديد لممارسة التخريب داخل حركة الطبقة العاملة العالمية والمعسكر الاشتراكي » .

« ونوصلنا الى ان قضية تحرير فلسطين ، التي طرد منها سكانها الاصليون واقيمت عليها قاعدة للعدوان الاستعماري ، ليست قضية نزاع ديني او عنصري ، بل هي قضية صراع طبقي بين الثورة العربية والاستعمار الحديث بكل ادواته العسكرية والسياسية . ان انتصار حركة التحرر العربية في هذا الصراع ، بقيام دولة عربية ديمقراطية في فلسطين على انقاض النظام الطبقي الصهيوني ، امر يقوي الجبهة الثورية العالمية المناوئة للاستعمار » .

« وارتكازا على هذا المفهوم الطبقي المستقيم ظللنا ندعو للنضال ضد الكيان الصهيوني من اجل تمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة تقرير مصيره على ارض وطنه . ان الانتصار في هذه القضية ليس حلما عابثا ، بل هو هدف يقترب من التحقيق بمقدار ما تتعزز الانظمة التقدمية والوطنية العربية وتطور حركة النضال الثوري العربي عامة ، والفلسطيني خاصة » .

الطريق :

وبعد هذا العرض نتحدث التحليل عن طريق هذا النضال فيقول « وخلال كل الفترة الماضية طرحنا طريقا مستقيما لرد العدوان وتحرير الارض المحتلة ، معالمه الاساسية ان تخلص الحركة الثورية العربية من عوامل ضعفها الذاتية ، وان تبني تحالفا وثيقا مع المعسكر الاشتراكي وحركة الطبقة العاملة العالمية :

« على طريق التخلص من عوامل الضعف الذاتية ، دعونا الى السير بحزم لانجاز المهام الوطنية الديمقراطية في النظم التقدمية والمعادية للاستعمار بالاستناد الى تحالف حقيقي بين الطبقة العاملة والفلاحين والمثقفين والجنود والضباط الثوريين والرأسمالية الوطنية ، والى توفير الديمقراطية الثورية وازالة كل العوائق التي تمنع النشاط المستقل للجماهير الكادحة وتحبس طاقاتها ومبادرتها . وناضلنا ضد اساليب وسياسات الانفراد بالسلطة والوصاية على الشعب ومعاداة الشيوعية » .

« وقد عملنا شتى من اجل وحدة القوى الوطنية والتقدمية العربية ، وفي هذا المجال رفضنا الدعوة المتكررة الى « المصالحة القومية » ودون انتقاص من اهمية العامل القومي ـ الذي قد يجبر حتى غلاة الضالعين مع الاستعمار على اسهام محدود في قضية تحرير الارض . فقد وجدنا ان هذه الدعوة تقوي الاتجاهات التي تشكك في طريق الثورة الديمقراطية ، وتمثل تراجعا عن اهداف الثورة العربية امام القوى البينية المرتبطة بالاستعمار » .

« ومن جهة اخرى رفضنا سياسة المحاور التي تمزق وحدة النظم الوطنية والتقدمية وتلاحم القوى الثورية . ولهذا ـ وليس فقط استقراء لدوره الاجرامي ضد الثورة الديمقراطية السودانية في ٢٢ يوليو ١٩٧١ ـ ناضلنا منذ البداية ضد ميثاق طرابلس والاتحاد الثلاثي اللذين اثبتا عجزهما وخوائهما في حشد الشعوب العربية والهامها في المعركة » .

« واعطى حزبنا اهتماما كبيرا للظاهرة الايجابية التي نتجت عن عدوان ١٩٦٧ ، وهي استيقاظ اقسام واسعة من الجماهير العربية على حقيقة الامبريالية الامريكية ، وعمل على تنمية هذه اليقظة باعتبارها بين اهم العوامل لكسر الهجوم الامبريالي الامريكي على الشعوب العربية . وحارب حزبنا الاوهام التي ظلت الدوائر اليمينية تبثها لاخفاء العلاقة بين الامبريالية العالمية بأسرها واسرائيل وخاصة محاولات تبرئة امريكا وتجميل صورتها ، وتقديم اسرائيل وكأنها الدولة المتحكمة في سياسة الولايات المتحدة والامبريالية » .

مميزات السنوات الماضية :

● وبعد ان يشير التحليل الى قبول الحزب الشيوعي السوداني لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ مع التحفظات ويحلل ذلك القبول بان اهم اسبابه هو تقريب فصائل حركة التحرر الوطني العربية من بعضها ، مع التأكيد على ان القرار المذكور يحقق مكتسبات لاسرائيل ، ينتقل التحليل الى ما تميزت به السنوات الست الماضية فيقول :

« لقد تميزت فترة السنوات الست الماضية بصراع متنوع شمل الساحة العربية كلها . وسيكون من الخطأ تبسيط ذلك الصراع . فهو لم يكن فقط بين حركة التحرر العربية والاستعمار الحديث وادواته ، بل كان صراعا كذلك من اجل انتصار الثورة الديمقراطية صحبته صراعات على قيادتها بين الطبقة العاملة والبرجوازية الصغيرة وكانت هناك ايضا صراعات بين الاحتكارات والدول الامبريالية حول موارد الطاقة والاسواق ، وبينها وبين الاقطاع المستحوذ على عائدات البترول . كما سيكون من الخطأ التهوين من شأن ونتائج المعارك التي خاضتها حركة التحرر الوطني العربية ، والاثر البعيد المدى لنضامن المعسكر الاشتراكي وعلى رأسه الاتحاد السوفياتي ، واغتراف ان الامبريالية وجدت ضوءا اخضر على طريق مفتوح او انها كانت مطلقة اليد وحرة التصرف في سعيها لاعادة ترتيب الاوضاع في المنطقة بما يتفق مع مصالحها ومصالح عملائها وحليفاتها » .

« فمنذ العدوان ظهرت المقاومة الفلسطينية وفرضت نفسها قوة نشطة ومؤثرة في مجموع النضال الثوري العربي . وكان ابرز نتائجها الايجابية انها استردت حق التعبير عن شعب فلسطين من المتاجرين بقضيته ، وطرحت بصورة حادة وملموسة قضية تقريره لمصيره على ارضه السليبة ، وساهمت الجماعات التقدمية الثورية منها في فضح فكر البرجوازية الصغيرة وممارستها

وضمت جمهورية اليمن الديمقراطية بحزم على طريق الثورة الديمقراطية بالاعتماد على الجماهير الشعبية ووحدتها ومبادراتها وبالتحالف المتنامي مع البلدان الاشتراكية . ومارس هذه الدولة الفتية دورا ايجابيا واضحا في حركة التحرر العربية رغم المصاعب الهائلة التي تواجهها بسبب التركة المتخلفة التي ورثتها ، وشح الامكانيات ، والاستفزازات الاستعمارية والرجعية على حدودها . وشهدت مصر انتفاضات عمالية وطلابية في بدايه عام ١٩٦٨ احتجاجا على المسلك اللين ازاء الذين ارتكبوا جرائم الخيانة والاهمال والجبن ممن كانوا في قيادة الدولة حين العدوان . ورغم القمع البالغ القسوة لتلك الانتفاضة ، فقد نهض العمال والطلاب والمثقفون الديمقراطيون ، المرة بعد الاخرى ، يناضلون ضد التسيب والطريق الاستسلامي ، ومن اجل الديمقراطية واطلاق طاقات الشعب في معركة التحرير . ان تباشير بعث حركة ديمقراطية في مصر ، بمعاركها الشجاعة من اجل وجودها واستقلالها واستمرارها ، وموقفها القائد من الفكر الناصري ، واقترابها من الماركسية ـ اللينينة ، وسعي طلائعها للاتحاد في حزب شيوعي ، لمن اتصع صفحات نضال القوى الثورية العربية بعد العدوان » .

« وانخذ العراق خطوته التاريخية بتاميم النفط وبوضع موارده بيد الشعب ، بمساعدة الاتحاد السوفياتي وجمهورية المجر الاشتراكية . وبهذه الخطوة وجه العراق ضربة حقيقية وجاده للمصالح الاستعمارية ، وفضح كل المناورات النفعية والادعاءات الديماغوجية عن استخدام سلاح البترول ، وقدم للجماهير العربية نموذجا ملموسا يقوي نضالها من اجل انتزاع ثرواتها القطيعة الهائلة من قبضة الامبريالية وحلفائها الاقطاعيين » .

« وفي السودان استطاعت الحركة الشعبية، بقيادة الحزب الشيوعي ، ان تجبر الحلف الرجعي الحاكم انذاك على قطع العلاقات مع امريكا والمانيا الغربية ومنع المظارات والموانيء والاراضي السودانيه امام الجيش المصري ، وارسال قوات سودانية الى جبهة القناة ، وارسال مواد تموينية الى مصر ، كما اجبرته على تسليح الجيش السوداني من الاتحاد السوفياتي » .

« وبعد انقلاب ٢٥ مايو ١٩٦٩ ناضلت الحركة الشعبية من اجل مشاركة اكبر واشد فعالية في معركة التحرير ، وبالدرجة الاولى في توحيد الشعوب العربية ونبذ سياسة المحاور ومن اجل تمتين التحالف مع المعسكر الاشتراكي وفي وجه انفراد شريحة القوميين الناصريين بالسلطة ومعاداتها للشيوعية والديمقراطية ولحركة الشعب، ثم سقوط السلطة كلما ونهائيا في يد اليمين بعد الانقلاب الغادر في ١٦ نوفمبر ١٩٧٠ في وجه ذلك كله انتفضت القوى الديمقراطية الثورية داخل القوات المسلحة في ١٩ يوليو ١٩٧١ وانتزعت السلطة ، تساندها الاغلبية الكبرى من الجماهير الكادحة . وطرحت سلطة ١٩ يوليو ، في اسابيعها الثلاثة المجيدة ، طريقا جديدا لتطور الثورة الوطنية الديمقراطية ، واثبتت ان هناك بديلا ممكنا لفكر البرجوازية الصغيرة المعقمة وطريقها المسدود . وكان برنامجها في الساحة العربية مميزا عن مطامح ونطلعات الجماهير : العداء الثابت للامبريالية والصهيونية والرجعية ودعم المقاومة الفلسطينية ورفض اية وصاية عليها ، وحدة القوى الوطنية والتقدمية العرسة ، وحماية ظهر الشعب المصري » .

« لكن قوى الاستعمار الحديث والرجعية العربية والافريقية والدوائر الحاكمة في مصر وليبيا وسوريا تجمعت وانقضت على سلطة ١٩ يوليو ، وساعدت على اقامه ردة عميقة دموية شاملة في السودان . ونحق عبرت هذه المعركة عن مجموع وجهه الصراعات الدائرة في المنطقة » .

« وناضلت الجماهير العربية من اجل التمسك بالتحالف الوثيق مع المعسكر الاشتراكي ، رغم حملات غسل المخ التي شنتها الدوائر اليمينية واجهزة اعلامها ، والتي سبقت وصاحبت ابعاد الخبراء السوفيت من مصر ، وقادة السادات شخصيا لحوار محلي وعالمي حول المتغيرات الدولية هدفه فصم التحالف مع الاتحاد السوفياتي بعد بلطيغ صورته ووضعه على قدم المساواة مع الامبريالية الامريكية .

« لقد كانت الجماهير العربية تدرك جيدا ان المساعدات الفعالة من قبل المعسكر الاشتراكي ، وخاصة السوفياتية ، ساهمت بشكل حاسم في الصمود الاقتصادي والعسكري والسياسي للنظم الوطنية التي استهدفها العدوان ، وفي الحيلولة دون سقوطها ، وفي تعويض جيوشها عن خسائرها في الحرب وفي تدريبها ورفع قدرتها القتالية » .

« وهكذا كانت الفترة التي اعقبت عدوان يونيو غنية بالصراع الطبقي والاجتماعي ، وتحلت فيها بصور اكثر تحديدا مواقف وموقف القوى الاجتماعية ، وتكشفت امام الاقسام الطليعة من الطبقة العاملة والبرجوازية الصغيرة الديمقراطية حدود قدرات القيادات البرجوازية الصغيرة العسكرية . وكان هذا اساس التحول عن الفكر البرجوازي الصغير نحو الماركسية اللينينة ، والجهود المخلصة لاقامة وحدة حقيقية راسخة بين القوى الثورية على النطاقين المحلي والعربي».

«ان الجبهة المشاركة للثورة الفلسطينية وجبهة القوى الوطنية والتقدمية في لبنان والتحالف الشعبي العميق الجذور في اليمن الديمقراطية والجبهة المتقدمة والقومية في العراق وسائر اشكال التحالف والضامن الاخرى كلها خطوات ايجابية نحو تحقيق وحدة القوى الثورية العربية ، ذلك السلاح الذي لا غنى عنه لانتصارها . ان عدم اكتمال هذه الوحدة حتى الان ليس مؤشرا على الضعف الذاتي ونقص الادراك بين هذه القوى وحسب ، بل هو مؤشرا ايضا على النفوذ الفكري والسياسي الواسع الذي ما يزال للقوى اليمينة ـ الاقطاعية والبرجوازية ـ وسط الجماهير الكادحة . ان الصراع الحازم ضد هذا النفوذ وحصر دائرته ، وخاصة بالقضاء القاسي لفكر البرجوازية الصغيرة وممارساتها ما يزال الشرط الضروري والحاسم لتحقيق وحدة القوى الثورية العربية واحد مهامها الاساسية المقدمة » .

في العدد القادم
نتابع عرض التحليل